وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

الترقيم الدولي (ISSU) ١٩٩٢-١١٣٦

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة تصدر عن قسم الفلسفة/كلية الآداب

العدد السابع عشر
آيار/٢٠١٨

العدد السابع عشر
٢٠١٨

مدير التحرير
أ.م.د.عارف عبد فهد
كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير
م.م. أسماء جعفر فرج
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي
م.د.منار صاحب
كلية الآداب/المستنصرية

تنضيد
م.م.أثير محمد مجيد

المحاسب المالي
رنا حسين عباس

تصميم وطباعة
مكتب الأثير
للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة محكمة يصدرها قسم الفلسفة

رئيس التحرير
أ.د.حسن مجيد العبيدي

الهيأة العلمية الاستشارية

١- أ.د. طه عبد الرحمن /جامعة محمد الخامس /المغرب
٢- أ.د. ادونيس عكرة /مدير المركز الدولي لعلوم الانسان / لبنان
٣- أ.د. الطاهر بن قيزة /جامعة تونس الاولى /تونس
٤- أ.د. عمر بوساحة / جامعة الجزائر /الجزائر
٥- أ.د.اشرف منصور / جامعة الاسكندرية /مصر
٦- أ.د. حسون عليوي السراي/الجامعة المستنصرية /العراق
٧- أ.د. جميل خليل المعلة /جامعة الكوفة /العراق
٨_ أ.د. هبة عادل العزاوي /جامعة بغداد /العراق

الموقع الالكتروني للمجلة
Journalofphilosopy@yahoo.com
البريد الالكتروني
journalofphilosophy@yahoo.com

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)
فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد
السابع عشر
آيار

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

١- فلسفة الحرب عند ابن خلدون	أ.د. حسن مجيد العبيدي	١-١٤
٢- توماس كون فيلسوف الثورات العلمية	د. قاسم عبد عوض المحبشي	١٥-٣٦
٣- إشكالية فهم "الآخر" في بواكير ما بعد الحداثة -المقاربة الفينومينولوجية-	أ. م. د كريم حسين الجاف	٣٧-٦٤
٤-إشكالية العلاقة بين الإنسان و البيئة دارسة فلسفية- قانونية	أ.م.د. حسن حسين صديق م.د.شاخوان خدر	٦٥-٧٨
٥- الأخلاق في فلسفة طه عبد الرحمن	الدكتور علي محمد عليان عبد الرازق الخطيب	٧٩-١٠٠
٦-نظرية وحدة الوجود عند صدر الدين الشيرازي	م . د. زينا علي جاسم	١٠١-١١٨
٧-أحكام الحركة عند ابن سينا	الباحثة غنية منصور حمزة	١١٩-١٣٠
ملحق العدد		
٨- نص فلسفي معاصر جون كوركران تلازمية المنطق والأخلاق	ترجمة أ. م. د. ليث أثير يوسف	١٣١-١٤٠
قبس العدد		
٩- الذكاء الشخصي وعلاقته بالتقويم المعرفي لدى طلبة الدراسات العليا	م . د. تغريد أديب	١٤١-١٧٦

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
Philosophyarts@yahoo.com

PHILOSOPHY

Philosophical magazine

الغلاف الاول

دعوة للاساتذة والباحثين

تدعو مجلة الفلسفة جميع الاساتذة والباحثين الاكاديميين لنشر بحوثهم العلمية والثقافية والفكرية الفلسفية للنشر في هذه المجلة ورفدها بكل ما هو جديد من بحوثكم الاكاديمية المتميزة

مع التقدير

مدير تحرير المجلة

فلسفة الحرب عند ابن خلدون

أ.د. حسن مجيد العبيدي•

تمهيد– حكم عام قبل التفصيلات: ما من نص أو جملة قيلت في كتاب المقدمة لابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) إلا وتصب في صالح طبيعة الحرب وفلسفتها (أصلها، وأنواعها وأسباب ومشروعية قيامها وجوهريتها في الطبع الإنساني)، وهذا ما نجده في أي عبارة قالها هذا المفكر من خلال نقده الرواية التاريخية والخبر وإعمال العقل فيهما، حتى نشأة الدولة وقيامها بالعصبيات، وما يتلوها من العمران البشري عن البداوة إلى الحضارة وانهيار الدولة فيما بعد حين تبلغ الفناء والشيخوخة بحكم الحتم التاريخي، فمقدمة ابن خلدون هي بتعبير آخر كتاب في الحرب وعن الحرب وأصل الحرب، إذ يعتقد جازما أن أصل قيام الدولة والاجتماع البشري إنما هو قائم على دعامة التنازع والغلبة بوجود وازع يدفع عدوان بعضهم بعضاً. حتى أن هاجسه كان مأسورا في هذا الموضوع بقوة، ولهذا استطيع القول أن ابن خلدون هو فيلسوف الحرب بامتياز.

ولكن قبل أن نفصل القول في موقف ابن خلدون من الحرب وجوهريتها ومشروعية قيامها وأنواعها، لابد من طرح جملة أسئلة فلسفية، منها:

ما معنى الحرب؟،.

وهل الحرب أصيلة في طبيعة الإنسان نفسه؟. أي بمعنى آخر هل الإنسان بطبعه شرير عدواني يحب الحرب وشنها على غيره مهما كان هذا الغير، إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، أو بيئةً بكل أشكالها؟. وهل أن السلم عرضي، يطالب به الإنسان بعد أن يذوق ويلات الحرب ودمارها؟. وهل أن سبب قيام الحرب وتسويغها دافعه أخلاقي أو ديني أو قانوني أو ثقافي أو علمي تكنولوجي؟.

المطلب الأول– معنى الحرب: يعرفها اللغويون بمعانٍ عده، منها: سلب المال، اشتداد الغضب، القتال، أو القتال بين فئتين، أو القتال بين البشر بعضهم بعضا، أو القتال الذي تقوم بها جيوش غير منظمة، وغير ذلك[١].

• **قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية.**

أما أهل السياسة الحرب، فهي عندهم نقيض السلم، فيقال: وقعت بينهم حرب، لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة، بخلاف السلم الذي يذهب إلى المسالمة، فيقال دار حرب، ويقصد بها عند المسلمين، بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين. هذا من جهة، ومن أخرى تعني الحرب: حالة صراع بين كيانات سياسية عادة، وتشن من أجل تحقيق الأهداف بالقوة، وهي أعمال عدائية مسلحة بحجم كبير أو صغير من الاستمرار بين أمتين أو دولتين أو حكومتين أو أكثر، ويهدف كل فريق من ورائها إلى صيانة حدوده ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر[٢].

وهناك تحديد آخر لمعنى الحرب يذهب إلى أنها شكل من أشكال العلاقات الدولية، يستخدم فيها السلاح فضلاً عن أدوات أخرى من أدوات السياسة، وبمعنى أوسع وأشمل هي استخدام القوة بين جماعتين من البشر تخضعان لنظامين متعارضين لهما مصالح متعارضة[٣].إذ إنّ الحرب تقوم حين ينتهي دور المجموعات البشرية المتناحرة في الوصول إلى حالة ترضي الطرفين أو الأطراف المتناحرة بصدد المشكلات التي سببت هذا التناحر. فهي تقوم وتحضر بعد غياب لغة الحوار والتفاهم. فالحرب هي نهاية الحوار.

المطلب الثاني– ابن خلدون والحرب

أولاً. مشروعية الحرب– خصص ابن خلدون في كتابه المقدمة مكانة مهمة لبحث الحرب في أكثر من فصل من فصول مقدمته، منها فصل عن مذاهب الأمم في الحرب، وفصل عن الحرب التي تقوم بين الدولة المستجدة والدولة المستقرة، وفصل عن أثر الموسيقى والرايات في الحروب، وفصل عن التفاوت بين مراتب السيف والقلم.

والذي يهمنا من هذه الفصول المخصصة للحرب، الفصل الذي عقده عن الحرب ومذاهب الأمم في ترتيبها، والذي يسوغ فيه مشروعية الحرب بصراحة تامة لا ريب فيها، قائلا: ((أن الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، (والحرب) أمر طبيعي في البشر، لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده)[٤].

في هذا النص الواضح والجلي عن الحرب على الرغم من جمله المقتضبة القليلة، نستنتج منه الآتي:

١– إن الحرب جوهرية أي أنها أمر طبيعي في البشرحتمي أراده الله وليست عارضة.

٢- لا توجد في تاريخ البشرية المديد سواء مدنية أو عمران بشري أو بداوة إلا وقد مرّ بالحرب وذاقت ويلاتها، إذ لا تخلوا أية امة أو جيل منها، وهذا بمثابة قانون عام استنبطه ابن خلدون من سيرورة الحضارات وقانونها العام، وهو محق بذلك، لأن الشواهد عليه كثيرة، كما سنبين لاحقا، فالحروب هي التي تقيم السلطة السياسية وتُمْسكُها، إذ إنّ هذه السلطة تصدر عن السلطة العسكرية[٥].

٣- على الرغم من أن ابن خلدون قد تكلم غير مرة عن ميل أهل البدو إلى النهب[٦]، لكنه يجعل أصل الحرب إرادة انتقام البشر بعضهم بعضا، أي أنها من فعل الإنسان وإرادته واختياره، وأسباب الانتقام كما يصفها ويسوغها ابن خلدون أربعة، هي:

أ. غيرة ومنافسة: وهذا يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة.

ب. عدوان: وهذا يقوم في الغالب بين الأمم الوحشية الساكنين بالقفر، ويسمي ابن خلدون هذه الأمم الوحشية بأسمائها، وهم: العرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم، إذ عصبية هؤلاء أنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم، ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب، وهَمهم غلب الناس على ما في أيديهم. بعدِّ أن الأمة الوحشية ملكها أوسع، لأنها أقدر على التغلب والاستبداد واستعباد الطوائف لقدرتها على محاربة الأمم، ناهيك عن أنهم ليس لهم وطن يرتاحون منه، ولا بلد يحجون إليه، فنسبة الأقطار إليهم سواء، فلا يقفون عند حدود أفقهم، بل يطفرون إلى الأقاليم البعيدة ويتغلبون على الأمم النائية[٧]. ويطلق ابن خلدون على الحرب الانتقامية في هذين الصنفين بحرب البغي والفتنة.

ت. عصبية دينية مقدسة: تحت مسمى الغضب لله ولدينه، وهو ما يطلق عليه في الشريعة اصطلاحا (الجهاد)، وعصبية هؤلاء الحربية هي عصبية دينية، أصلها الدين، إما من نبوة أو دعوة حق، وهنا يؤكد ابن خلدون في ملاحظة دقيقة جديرة بالاعتبار، أن العصبية الدينية وما تدعوه من دعوة تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية، بعدِّ أن الصفة الدينية تذهب بالتنافس الذي في أهل العصبية البدوية نحو الدين، وتسمى هذه الحرب وما بعدها بالحرب العادلة.

ث. عصبية الحكم والملك: وهو الحرب التي يقول عنها ابن خلدون أنها تقع في الدول بعامة مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها[٨]. أي أنها حرب مشروعة على وفق رأيه، إذ يطلق عليها وعلى حرب العصبية الدينية المقدسة بالحروب العادلة.

ومن خلال تحليلنا لهذا النص يتبين بجلاء ان ابن خلدون يقول صراحة ويسوغ مشروعية الحرب بكل أنواعها، ويدعو إليها ويمجدها، وبخاصة إنْ كانت تقوم بواجب أخلاقي ديني اجتماعي،

وبخصوصية أكثر عندما يكون إعلانها من المسلمين على غير المسلمين، فهي عادلة، في حين يحرمها ويذمها إنْ كانت من غير المسلمين على المسلمين، ويعدّها حرب جور وظلم، أي بمعنى آخر ابن خلدون من المسوغيين والقائلين بالحرب التوسعية، حتى ليمكن الإفادة من رأيه اليوم في الحروب التوسعية التي تشنها بعض الدول على بعض مما نشاهدها بيننا.

ثانياً- أسباب الظفر والغلبة في الحرب- فضلاً عما تقدم، يرى ابن خلدون في نص مميز آخر، أن من أسباب الظفر والغلبة في الحرب لا يكون في العدة والعديد من الجيش والخطط الحربية المحكمة وكمال الأسلحة وحسن استعمالها وكثرة الشجعان وصدق القتال فحسب. بل إنما يكون بأسباب خفية وأسباب ظاهرة.

١- الأسباب الخفية- وهنا سنتحدث عن هذه الأسباب الخفية للظفر بالحرب، وسنُظهر من خلالها أن ابن خلدون يُعلي من شأن السببية الطبيعية في العلاقات الإنسانية وبخاصة الحرب، على الرغم من كونه عقيديا ينتمي إلى المذهب الأشعري الذي لا يقر بالسببية الطبيعية، ويؤمن بخرقها، وتقسم هذه الأسباب عند ابن خلدون على قسمين، هما:

أ. البخت والاتفاق•: ومقصد ابن خلدون في البخت والاتفاق ليس هو مقصد العامة من الناس فيه، بل يعني حصول الظفر بالحرب بأسباب نجهلها نحن، منها على وفق ابن خلدون: أمور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها، أقرب للمعجزات، تُلقى في القلوب فيستولي الرهب عليهم لأجلها، فتختل مراكزهم وتقع الهزيمة، وفي هذا المجال ينسب ابن خلدون حديثا مرفوعاً للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يقول فيه: نصرت بالرعب[٩]. ومصاديقه ما حدث للمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية وما حدث لهم لاحقاً في صدر الإسلام من فتوحات للبلدان المجاورة (العراق والشام ومصر وبلاد فارس).

ب. الأسباب الطبيعية: ومن الأسباب الخفية الأخرى ما يقع تحت مسمى الطبيعي السببي، بعدّ ابن خلدون من القائلين به في تفسيره لقيام الحضارات والعمران البشري وانهيارها، لأن الإنسان عنده ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه على حد قوله[١٠]، ومن الأسباب الطبيعية في الظفر بالحرب على حد قوله: استعمال الحيل والخداع في الحرب، والشهرة والسمعة والصيت والدعاية والتأثير النفسي الذي يولد الخوف والفزع والرعب وغير ذلك، أي أنها أسباب تتعلق بمعنويات العدو، ويعزو

ابن خلدون إلى هذا النوع من الأسباب أهميته في تقرير الظفر والغلبة في الحرب، حتى أنه ليجعلها تفوق في التأثير الأسباب الظاهرة[١١].

٢- **الأسباب الظاهرة:** ومن أسباب الغلبة والظفر في الحرب عند ابن خلدون، الأسباب الظاهرة والتي يعزوها إلى حال العصبية، وهي أن تكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم، في مقابل مجموعة ذات عصائب متفرقة متعددة، وهذه الأخيرة يقع بينها التخاذل والجبن والخوف[١٢]. ويضرب ابن خلدون لذلك مثلاً في العصبية الواحدة أنها موجودة في الأمم المتوحشة التي مرَّ ذكرها آنفاً، ولهذا تغلب وتظفر هذه الأمم في الحرب على غيرها، لأنها أقرب إلى البداوة في القوة والعصبية والشوكة واللُحمة الدموية من العصائب المتفرقة، وبهذه العصبية إنما يقوم المُلك وتقوى الدولة على وفق رأيه، بخلاف العصائب المتفرقة والقبائل الكثيرة قل أن تُستحكم بها الدولة، لاختلاف الأهواء والآراء وتشتتها، ويحدث هذا التشتت والاختلاف لهذه العصائب في الدول التي غادرت سورة العصبية واقتربت من الحضارة والعمران فضعفت همتها في المطاولة في الحرب، أو ما يسميها ابن خلدون بالحروب السجال التي تحدث بين الدولة المستجدة ذات العصبية الواحدة في مقابل الدولة المستقرة ذات العصائب المتعددة المتشتتة الأهواء[١٣]. إذ يعدّ العصبية والتوحش والعدوان سببا في نشوء المُلك والدول بجميع ما يكون للإنسان من سعي وعمل وكسب وتحصيل وإنشاء علوم وصنائع وعمران[١٤].

وببلاغة معهودة وحكم منطقي فلسفي تاريخي يربط ابن خلدون بين الحرب والشر، بعدِّ أن الشر هو أقرب الخلال الأخلاقية إلى الإنسان، إذ إن من أخلاق البشر ما يتركز فيهم الظلم والعداوة بعض بعضاً، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه على حد قول ابن خلدون فقد امتدت يده إلى أخذه إلا أن يصده وازع،...، يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، ...، فيكون الوازع واحداً منهم يكون لهم عليه الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان[١٥].

المطلب الثالث- أصول منطلقات ابن خلدون في الحرب: على وفق ما نرى أن ابن خلدون قد انطلق منطلقا عدّه في معالجته للحرب، منها فلسفية ودينية عقيدية واقتصادية واجتماعية ونفسية وحضارية وثقافية ، ومنها تاريخية معاشة في زمانه وقبله، ومنها شكل السلطة السياسية في زمانه وعصره، فضلاً عن أثر البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي لأقاليم الأرض، إذ يلاحظ ابن خلدون ببصيرة نافذة أن ما تتركه الحرب من آثار واضحة وبارزة في الحضارة والثقافة والمدنية، وهو ما يتجلى عنده في حديثه عن أثر الغالب في المغلوب وكون المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله.

يتمثل البعد الفلسفي في منطلقات ابن خلدون عن الحرب في معالجته لأسباب قيام الحرب وأصلها ومشروعيتها، إذ استعان هذا الفيلسوف بآراء الفلاسفة السابقين عليه في معالجتهم للحرب، سواء من اليونانيين أم العرب المسلمين، وبالأخص الفيلسوف الفارابي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)، إذ استقى أبن خلدون تصنيفه لأنواع الحرب والمقاتلة التي ذكرناها من قبل، ولم يكتف بذلك، بل أخذ من الفارابي فكرته الرئيسية عن تسويغه لمشروعية قيام الحرب، وأنها جوهرية في الطبع الإنساني، معتقداً هذا الأخير أن سبب قيامها هي الغلبة، أو شفاء غيظ، أو لذة ينالها، أو اكتساب خير تستأهله المدينة من خارج ممن في يده ذلك، أو هي لدفع عدوان وَردَّ المدينة من خارج، أو في حالة الجهاد لنشر الدعوة، إذ الحرب على وفق الفارابي هي من أعظم أسباب قيام المدن،وأن كانت نتائجها الخراب والدمار[١٦].

أما البعد الديني العقيدي فيتمثل بمعالجته لموضوعة الغضب لدين الله والجهاد في سبيله، إذ رجع ابن خلدون بِنا إلى التاريخ الإسلامي الأول وما جرى فيه من فتوحات، وهو بهذا المجال لم يستعمل معايير فيلسوف أخلاقي ، بل طبق معايير فقيه في معالجته لموضوع الحرب العادلة التي اسماها بالجهاد، وحصرها بالفتوحات الإسلامية فقط، في حين جعل حرب الجور التي أطلق عليها بالظالمة مما تشن على الإسلام دينا وحضارة،. ووما يجب أن يقال هنا أن ابن خلدون قد استند في تقسيمه للحرب الدينية رأي الفيلسوف الفارابي من قبل، حين قسم هذا الأخير الحرب على وفق ذلك[١٧].

في حين يتمثل البعد البيئي الجغرافي لقيام الحرب ومشروعيتها عند ابن خلدون في أثر المناخ وموقع الإقليم الجغرافي في النفس البشرية والقيم الأخلاقية، فعلى وفق رأيه من يسكن من البشر في الأقاليم الحارة والمتطرفة في حرارتها، إنما تكون طباعه أقرب للطباع الحيوانية الشريرية المتوحشة، إذ يمتاز هؤلاء السكان أنهم متوحشون بطبعهم يأكل بعضهم بعضاً، فيصبحون بعيدين عن أي فعل إنساني قيمي، بعد أن تخالط أبدانهم لحوم البشر[١٨]، وهو ما دفع بمفكرنا أن يصف سكان البادية وأهل البدو بالصفات الوحشية كونهم بعيدن عن المدن حاملين للسلاح يقتاتون منه بالسطو والهجوم على الرحل، فأصبحوا بذلك أولي بأس شديد[١٩]، في حين يتسم من يسكن الأقاليم الباردة أو المتطرفة بالبرودة بخصال أخلاقية هي الشجاعة والبسالة والإقدام في الحرب بتوحش، وهؤلاء هم سكان بلاد الترك والأكراد ومن جاورهم من البلدان الباردة.

المطلب الرابع– مشروعية الحرب: إنّ دراستنا لموقف ابن خلدون من الحرب قادتنا إلى تتبع هذا الموضوع عند الفلاسفة السابقين عليه واللاحقين له. إذ انقسم الفلاسفة في نظرتهم لأصل الحرب ومشروعيتها على فريقين كبيرين، الفريق الأول يعتقد أن الإنسان شرير بطبعه وهذا الشر متأصل

في طبيعته البيولوجية والسايكلوجية، وأن الفلسفات التربوية والأخلاقية والأديان والقوانين والتشريعات وقيام الدولة بمؤسساتها المتعددة والأعراف والتقاليد إنما جاءت لتحد من شريريته التي فطر عليها. ويذهب هذا الفريق إلى أن الحرب مباحة وضرورية ومشروعة، وبها تنتظم الحياة وما فيها، ويقف على رأسهم الفيلسوف اليوناني هيراقليطس الذي مجد الحرب في كتاب له بعنوان (جدل الحب والحرب)[٢٠]، إذ يقصد هنا بالحب السلام، أما الحرب فهي التغير المستمر في الأشياء. في حين أشار أفلاطون في محاوراته إلى الحرب والسلم، وبخاصة الجمهورية والقوانين، ففي الجمهورية [٢١] دعا إلى كيفية بناء المدينة المثالية الخالية من التناقض والقائمة على العدالة والخير، والتي يعمل فيها الإنسان حسب طاقته ومؤهلاته، فضلاً عن بناء نظام تربوي صارم يشب ويهذب الإنسان من الشرور ويقربه من الخير والعدالة والفضيلة، لبناء هذه المدينة المثالية، ويشير أفلاطون إلى أن هذه المدينة هي نموذج خاص ووحيد للأخلاق والعدالة والفضيلة لأن فئاتها تعرف ما ذا تريد وتفعل، وهذه الفئات هي فئة الحرفيين وفئة الحراس وفئة الحكام، ولأنها مدينته الفاضلة مثالية فإنها تنظر إلى كل الدول أو المدن المجاورة لها على أنها مدن غير فاضلة وليس فيها عدالة، مما يستلزم كما يشير إلى خيار الحرب لتطبيق الحق والعدالة والفضيلة، معتقداً أن سبب قيام الحرب لتحقيق الخير الأكبر المتمثل بالسلام والعيش في المدينة الفاضلة، وهذا النوع من الحرب الذي تشنه المدينة الفاضلة على غيرها من المدن على وفق أفلاطون تعدّ حرب عادلة وليست ظالمة أو عدوان، لأنها قامت من المدينة الفاضلة ضد الأمم المتوحشة الناقصة في إدارتها واجتماعاتها. إذ لا خيار عند أفلاطون للأمم غير الفاضلة سوى الرضوخ والانضمام إلى المدينة الفاضلة.

كما يعتقد أرسطو أن السبب في قيام الحرب هو ابتعاد الإنسان عن طبيعته السياسية التي خلق من اجلها، فيسعى للحرب من اجل إعادتها لوضعها الطبيعي.

ويذهب كذلك الفيلسوف المسيحي القديس أوغسطين إلى تسويغ الحرب لأنها أصيلة في طبيعة الإنسان، إذ يرى فيها أنها حِملاً على الإنسانية أن تحمله نظراً لطبيعتها الفاسدة منذ الخطيئة الأصلية.

وفي ذات السياق نجد الفيلسوف الفارابي هو الآخر قد أباح وسوغ قيام الحرب بقوة، وهو ما نجده في كتبه تحصيل السعادة وتلخيص النواميس وفصول منتزعة والسياسة المدنية، في حين أغفل ذكر موقفه من الحرب في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة [٢٢]، إذ يحدد الفارابي في كتابه فصول منتزعة (فصول المدني) الحرب أنها إما لدفع عدو ورد المدينة من خارج، أو اكتساب خير تستأهله المدينة من خارج ممن في يده ذلك[٢٣]، كما يسوغ الفارابي قيام الحرب إنْ كانت لدفع ضرر عن المدينة، أو لردع عدوان خارجي، أو الجهاد لنشر الدعوة، وهذه الأخيرة هي الحرب الدينية بامتياز

وهي العادلة. كما ويعتقد الفارابي أن أسباب قيام الحرب هي الغلبة، أو لشفاء غيظ أو لذة ينالها لا شيء آخر. والحرب عند الفارابي على نوعين: عادلة وظالمة (جور)، وهذا التمييز بين نوعي الحرب تبناه ابن خلدون فيما بعد كما نوهنا لذلك سابقاً، مع ملاحظة أن الفارابي يعتقد ان الحرب تسبب الخراب والدمار. حتى ليمكن القول أن الفارابي أفضل فيلسوف إسلامي حلل قيام الحرب في الفلسفة الإسلامية قبل ابن خلدون وحتى ابن خلدون.

لقد استمرَّ هذا الموقف من تسويغ قيام الحرب وجعلها غريزية في الإنسان مع الفلاسفة في العصر الحديث وحتى يومنا هذا، وهنا نستحضر موقف الفلاسفة والمفكرين من أيام ميكافيلي ودوركهايم وسيغموند فرويد إذ ظلت هذه المواقف هي السائدة والشائعة عند هؤلاء، والتي تقول أن طبيعة الإنسان هي التي تخلق الصراع. وأبرز رأي في هذا المجال قد قال به الفيلسوف توماس هوبز، إذ صرح في كتابه الليفاثيان الإنسان ذئب لأخيه الإنسان حالة الطبيعة إذا ما جردنا المجتمع من السلطة السياسية، كما ويعدّ هوبس ذلك حرب الواحد ضد الآخر، إن سلمت المجتمعات من عمل الدولة، والتي هي منوطة بالقانون والشرطة والمؤسسات السياسية، ومع ذلك فإن الدول تخضع للاندفاعات الغريزية عينها التي يخضع لها الأفراد.

أما بعض فلاسفة القرن العشرين فنجد لديهم تفسيرات لمشروعية قيام الحرب، منها أن الحرب هي سوء وظيفي خاص تقترفه هذه الدولة أو هذا المجتمع ، وهنا نجد عالم الاجتماع أميل دوركهايم قد عدَّ الحرب ظاهرة طبيعية في حياة الشعوب على امتداد التاريخ، إذ يعتقد أن أسباب قيام الحرب إنما يعود لأسباب اجتماعية وسياسية، وهنا يؤرخ عنده السبب الأول في قيام الحرب هو تأسيس الدولة الأولى في التاريخ وهي دولة المدينة في العراق القديم.

ومثل ذلك يذهب نيتشه إلى القول إن الحرب ضرورية ومشروعة لقيام الدولة وأساس نشأتها. وأن مشروعية قيامها سببه الصراع بين الروحين الديونيزية والهيراقلطية، وهذا ما عرض له في كتابه جينالوجيا الأخلاق، فالحرب هي أداة لتنفيذ إرادة القوة وقلب وتغيير كل شيء. وقيام طبقة العبودية للآخر، وهذه العبودية هي ناتج إرادة القوة.

وهناك من يعتقد أن سبب قيام الحرب هو اقتصادي ومشروعيتها، إنما مرده الإنسان نفسه، وهنا يحضر رأي الفلسفة الماركسية في الصراع الطبقي. في حين أن الحروب القومية هي تضليل منظم على حساب الطبقات الخاضعة للسيطرة.

في حين رأى الفيلسوف الألماني هيدجر أن مشروعية قيام الحرب هي القدرة على امتلاك الوجود والتصرف والتحكم به من خلال قوة التقنية وإرادة العمل. فالتقنية التي يترامى الإنسان في

أحضانها هي التي سوف تطحنه طحنا، وهنا يقع مفهوم الحرب. فالحرب انتزعت الموجود من ذاكرتها وأضاعته في لحظة استخدام للمادة البشرية عادمة الأوهام في خدمة توكيل غير مشروط لإرادة القوة. ولهذا صرح هيدجر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالقول: أن العالم الانجلو-ساكسوني قرر أن يفني العالم بواسطة التقنية. ويضرب مثلا باستعمال القنبلة النووية في هيروشيما.

أما الفريق الآخر فيذهب إلى أن الإنسان مسالم بطبعه أو في حالته الطبيعية، وان النظام الاجتماعي هو السبب في قيام الحرب وتسويغها، أي أن الحرب لا تعدّ قانوناً جوهريا في سلوك البشر في علاقاتهم بعضهم البعض، وإنما هي حالة عرضية أسبابها عدوان خارجي أو فتنة داخلية أو غلبة سياسية أو غير ذلك، وتنتهي الحرب بانتهاء أسبابها التي قامت من أجلها وهي السيطرة على أموال وأراضي الغير بالقوة المسلحة. كما ويعتقد هذا الفريق أن الارتماء بأحضان الجسد ومتطلباته تجعله إنساناً شريرا بهيمياً لا يشبع من شهواته وبخاصة شهوة السيطرة والاعتداء على ما عند الآخرين وأخذ ما يملكون بالقوة، إذ برأي هؤلاء المفكرين يبدأ التأسيس للحرب من هنا وبأبسط صورها.

ويقف على رأس هذه الفريق الفيلسوف جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي، إذ يعارض روسو وجهة نظر هوبس السابقة، بل ويذهب روسو إلى أن قيام الحرب هو عدم المساواة بين الدول في الموارد الطبيعية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. في حين يرى فلاسفة آخرون أن الحرب تنتهي متى توفرت النشاطات الأكثر عقلانية مثل التجارة أو الصناعة وهذا ما يذهب إليه كل من جرمي بنتام وسان سيمون. ويفهم من رأي هذا الفريق أن الحرب لا تعد قانوناً جوهريا في سلوك البشر في علاقاتهم بعضهم بعضاً، وإنما هي حالة عرضية أسبابها عدوان خارجي أو فتنة داخلية أو غلبة سياسية أو غير ذلك، ولهذا تنتهي الحرب بانتهاء أسبابها التي قامت من أجلها وهي السيطرة على أموال وأراضي الغير بالقوة المسلحة.

المطلب الخامس- أنواع الحرب: حددت أنواع الحروب على وفق من يقوم بشنها على غيره من بني البشر، سواء أكانوا فرادى أو شعوبا أم مدنيات أو حضارات أو ثقافات أو ديانات، إذ اهتم الفلاسفة بتحديد أنواعها، وهي الحرب العادلة والحرب الظالمة أو حرب الجور والعدوان، ويقف على رأس هؤلاء الفلاسفة أفلاطون وأرسطو والفارابي وابن خلدون وروسو وميكافيلي وتوماس هوبز وعمانؤيل كانت وهيجل ونيتشه وهيدجر وميخائيل فالزر والقائمة تطول في تعداد هؤلاء الفلاسفة .

النوع الأول من الحرب يسمى بالعادلة– من وجهة نظر من يقوم بها أو يشنها على غيره، وتتمثل بنشر فكرة أو مبدأ، أو رد عدوان، أو دفع ضرر، أو الغضب لدين الله وهو ما يسمى بالجهاد، وهذا النوع مباح عندهم إن كان لأسباب أخلاقية أو دينية أو مبدئية لمن يقوم به، في محاولة لتأسيس مجتمع مدني أو جماعة عالمية على أسس العدالة.

النوع الثاني– الحرب غير عادلة أي حرب الجور والظلم والعدوان.

النوع الثالث– وهناك حروب فتنة وبغي. لمن وقعت عليه وذاق ويلاتها، فالمسألة نسبية تتبع موقف المتخاصمين في الحرب مردها على وفق ابن خلدون لطبيعة النفس الإنسانية التي جبل عليها مشايخ القوم وكبرائهم وما منحوهم إياه قومهم من الاحترام والتبجيل.

أنواع أخرى– منها الحرب الأهلية والحرب اقتصادية والحرب كونية والحرب الدينية من اجل نشر المقدسات وتسمى في الإسلام باسم الجهاد، والحرب الطائفية والحرب القومية والحرب العشائرية، والحرب الحضارية أو الثقافية، والحرب التكنولوجية، والحرب الرقمية، والحرب البيوكيمائية ....

خاتمة– أن كل من نظر للحرب وكتب فيها وسوغها وبرر قيامها أو نقدها من الفلاسفة والمفكرين الذين ذكرناهم في بحثنا ومنهم ابن خلدون بخاصة، إنما انطلقوا من بيئاتهم الجغرافية والفكرية والدينية والثقافية والعلمية والاجتماعية والتربوية والمؤسسات التي يتبعون.

ويمكن القول بدءاً أن الحرب هي نقيض السلم، وأنها تقوم حين ينتهي دور المجموعات البشرية المتناحرة في الوصول إلى حالة ترضي الطرفين أو الأطراف المتناحرة بصدد المشكلات التي سببت هذا التناحر. فهي تقوم وتحضر بعد غياب لغة الحوار والتفاهم، فالحرب هي نهاية الحوار.

خلاصة

ما من نص أو جملة قيلت في كتاب المقدمة لابن خلدون (١٤٠٦م) إلا وتصب في صالح طبيعة الحرب وفلسفتها (أصلها، وأنواعها وأسباب ومشروعية قيامها وجوهريتها في الطبع الإنساني)، وهذا ما نجده في أي عبارة قالها هذا المفكر من خلال نقده الرواية التاريخية والخبر وإعمال العقل فيهما، حتى نشأة الدولة وقيامها بالعصبيات، وما يتلوها من العمران البشري عن البداوة إلى الحضارة وانهيار الدولة فيما بعد حين تبلغ الفناء والشيخوخة بحكم الحتم التاريخي، فمقدمة ابن خلدون هي بتعبير آخر كتاب في الحرب وعن الحرب وأصل الحرب، إذ يعتقد جازما أن أصل قيام الدولة والاجتماع البشري إنما هو قائم على دعامة التنازع والغلبة بوجود وازع يدفع

عدوان بعضهم بعضاً. حتى أن هاجسه كان مأسورا في هذا الموضوع بقوة، ولهذا استطيع القول أن ابن خلدون هو فيلسوف الحرب بامتياز.

summary

There is no text or phrase in the book (AL- Muqdemaa) of Ibn Khaldun (1406 AD) provided only in favor of the nature of the war and philosophy (origin, types and causes and legitimacy of its essence in human nature), and this is what we find in any statement by this thinker by criticizing the historical story and news and the realization The mind of them, until the emergence of the state and the emergence of the nationalities, and the subsequent human civilization from the Bedouin to the civilization and the collapse of the state later when the annihilation of old age by historical imperative, the introduction of Ibn Khaldun is another book in the war and war and the origin of the war, The state and the human society are the same The pillar of conflict and prevail over the existence of scruples aggression pushes each other. So that his obsession was captured in this subject strongly, so I can say that Ibn Khaldun is a war philosopher par excellence

الهوامش

١. يراجع، المعجم العربي الحديث، بيروت، مادة حرب. كذلك، إبراهيم مصطفى وجماعته، المعجم الوسيط، تركيا، مادة حرب.

٢. يراجع، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة سمير الجلبي، بيروت ١٩٩٩، مادة حرب.

٣. المقدم الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية، ج١، بيروت ١٩٧٧، ص٥١٢.

٤. يراجع، المقدمة، نشرة دار العودة، بيروت ١٩٨١، ص٢١٤ وما بعدها.

٥. يراجع، غاستون بوتول، ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، بيروت ١٩٨٤، ص٦٥.

٦. المرجع السابق، ص٦٥.

٧. يراجع، المقدمة، ص١٣٧.

٨. يراجع، المقدمة، ص٢١٤.

• وهو الصدفة التي تحدث عرضا ولا تعرف أسبابها ولا يعرف فاعلها. أما البخت فهي لفظة غير عربية بل معربة، وتعني ما يعنيه الاتفاق ويقع في الأمور الإنسانية بخاصة.

٩. يراجع، المقدمة، ص٢١٩.

١٠. المصدر السابق، ص١٢٥.

١١. يراجع، ساطع الحصري، دراسات في مقدمة ابن خلدون، ط٣، بيروت ١٩٦٧، ص٤٠١ وما بعدها. ويقارن، ملحم قربان، خلدونيات، قوانين خلدونية، دراسة منهجية ناقدة في الاجتماع السياسي، ط١، بيروت ١١٩٨٤، ص٣٤٧ وما بعدها.

١٢. يراجع، مقدمة ابن خلدون، ص٢٢٠. وص ٢٣٧.

١٣. المصدر السابق، ص٢٣٧.

١٤. يراجع، مدني صالح، الحرب وابن خلدون، التناقض والاضطراب، بحث منشور في مجلة آفاق عربية البغدادية، السنة ٢٠، العدد١١-١٢/ ١٩٩٥. ص٩.

١٥. المرجع السابق. ص٩.

١٦. يراجع، الفارابي، فصول منتزعة ، فصول المدني، تحقيق فوزي متري نجار، ص٧٧.

١٧. المصدر السابق، ص٧٧.

١٨. يراجع، كتابنا، جغرافية التفلسف، ط١، بيروت ٢٠١١، ص١٧٧.

١٩. يراجع، رفقة رعد خليل، فلسفة الحرب، ط١، بيروت ٢٠١٥، ص١٣٤.

٢٠. يراجع، ترجمة الكتاب، بقلم مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة.

٢١. يراجع، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، القاهرة ١٩٢٧. الكتاب الخامس والسادس.

٢٢. يراجع، د. حميد خلف السعيدي، اثر الفارابي في فلسفة ابن خلدون، ط١، بيروت ٢٠٠٦، ص١٣٩.

٢٣. يراجع، فصول منتزعة، تحقيق فوزي متري نجار، بيروت، ص٧٦.